

المؤتمر الدولي الأول حول الموهبة في لبنان تربية الموهوبين خدمة للإنسانية
"واقع النظريات المفسرة للموهبة في الكشف عن المفاهيم المشابهة وخصائص
معلمي الموهوبين"

Status of Theories that Explain Giftedness in Revealing the Similar Concepts and Characteristics of the Teachers of the Gifted

Dr. Somia Eid Al- Zaboot

الدكتورة: سُمية عيد الزعبوط

تُعد مؤشرات البحث عن التفوق العقلي والموهبة والإبداع من الأمور القديمة التي بحث حولها المفكرون منذ أقدم العصور، إلا أنها كانت تتبع أدبيات الخرافة والأساطير، ومع مرور الأزمنة، وتنامي حاجات البشرية للكشف عن هؤلاء الذين يمتازون عن غيرهم، بدأت عمليات البحث عن التفوق والموهبة والإبداع تأخذ مساراً فلسفياً .

وفي عصرنا المعاش، الذي يزخر بمستجدات العصر؛ ما يُحتم ضرورة وجود عقول مفكرة ومبدعة وموهوبة ومتفوقة، تمتلك سمات تُمكنها من تقديم حلول أصيلة ومرنة تقود من خلالها مجتمعاتها في عصر شاعت فيه الأزمات.

بناءً على ذلك، بدأت الدول المتقدمة تنظر إلى الرأس البشري (العقل) منذ طفولته لتقدم له الرعاية والعناية، ومن خلال تلك النظرة العلمية المدروسة انطلقت البحوث والدراسات والنظريات مدعومة بالأموال حول الذكاء والموهبة والتفوق.

ومن ثم وجهت بعض الدول رعايتها للموهبة إلى الأطفال، معتمدة في ذلك على تفوقهم في التحصيل المدرسي، مقارنة بزملائهم الآخرين، فوفرت لهم سبل الرعاية والعناية بهم، ويُلاحظ في أيامنا هذه تنامي الاهتمام في الطلبة المقبلين على المرحلة الثانوية، لتبقى المشكلة عالقة، من أين نبدأ؟ وكيف نبدأ إذ يُمكن القول أننا هنا وعلى أرض لبنان الحبيبة وفي هذه الأجواء العلمية ... من أجل ذلك .

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث فيما أشارت إليه كثيرٌ من الدراسات والبحوث وأدبيات الموهبة والتفوق، إذ أشارت إلى أن المشكلة تكمن في المحك الذي يمكن الاعتماد عليه في التعرف على الموهوبين، وكيفية رعايتهم ، إذ إن قضية الموهوبين والمتفوقين تحتاج لمزيد من الجهود الحثيثة .

كذلك تكمن مشكلة البحث في الجهود التي تُبذل حول الموهوبين، فالجهود في الدراسات النظرية كثيرة ومتنوعة، أما في التطبيق العملي فالجهود متواضعة ؛ إذ ما زالت مستمرة في تصنيف الطلبة وفق اختبارات الذكاء، وترشيح المعلمين ، والتحصيل الدراسي، متجاهلين في ذلك عملية تصنيف الطلبة المفحوصين بدقة، كذلك احتياجاتهم ومشكلاتهم، وسمات معلمهم ؛ الأمر الذي يُشكل فاقداً في ثروة قومية حاضرة ومستقبلية، من هنا يُمكن صياغة مشكلة هذا البحث في رصد واقع النظريات المفسرة للموهبة في الكشف عن المفاهيم المشابهة وخصائص معلمي الموهوبين .

أسئلة البحث: لتوضيح مشكلة البحث ، يُمكن طرح الأسئلة على النحو الآتي:

- ما النظريات المفسرة للموهبة ؟
 - ما المفاهيم المشابهة للموهبة وفق النظريات المفسرة لها؟
 - ما خصائص معلمي الموهوبين وفق النظريات المفسرة للموهبة؟
- أهداف البحث:** يُمكن الإجابة عن أسئلة البحث، من خلال تحقيق الأهداف الآتية:
- تعرف بعض النظريات المفسرة للموهبة .
 - رصد المفاهيم المشابهة وفق النظريات المفسرة للموهبة.
 - الكشف عن خصائص معلمي الموهوبين وفق النظريات المفسرة للموهبة.

أهمية البحث:

1) تكمن أهمية البحث الراهن في تلبيته لأحد محاور المؤتمر الدولي الأول حول الموهبة في لبنان، الذي يحمل مسمى : "تعليم الموهوبين خدمة للإنسانية" ، إذ تتطلب عملية تعليم الموهوبين معرفة خصائص معلمي الموهوبين والمفاهيم المشابهة للموهبة ، وهذا ما حاول البحث الراهن إظهاره.

2) أظهر البحث محاولة علمية جادة في تحليل ومناقشة أدبيات الموهبة لرصد النظريات المفسرة للموهبة والمفاهيم المشابهة لها، والكشف عن خصائص معلمي الموهوبين من وجهة نظر النظريات المفسرة للموهبة .

3) قد يُسهم البحث في جذب اهتمام الباحثين في هذا المجال، وفتح المجال لإجراء بحوث أخرى ذات علاقة بالموهوبين.

منهجية البحث: تم اعتماد المنهج النوعي؛ لمناسبته في تحقيق أهداف البحث الحالي والإجابة عن أسئلته، إذ يُركز المنهج النوعي على وصف الظواهر والفهم العميق لها، ويهتم بالعملية والمعنى أكثر من اهتمامه بالسبب والنتيجة، وبذلك فهو يختلف عن المنهج الكمي الذي يركز عادة على التجريب وعلى الكشف عن السبب أو النتيجة بالاعتماد على المعطيات العددية، وهذا ما أردته، نظراً لتنامي قبول هذا التوجه في البحوث، خاصة في المجال التربوي، نتيجة لتضاؤل الثقة حول التوجه التقليدي الكمي في دراسة المشكلات التربوية والاجتماعية.

حدود البحث: يقتصر البحث في إمكانية تعميم نتائجه في الالتزام بالحدود الآتية:

- الحدود الموضوعية: وتتمثل في واقع النظريات المفسرة للموهبة في الكشف عن المفاهيم المشابهة وخصائص معلمي الموهوبين.
- الحدود البشرية: وتتمثل في عدد الباحثين والعلماء من خلال نظرياتهم المفسرة للموهبة، البالغ عددهم (9) وهم: (جيلفورد، جاردنر، تايلور، رنزولي، مونكس، فيلدهوزن، تانباوم، ستيرنبرج، جالتون)
- الحدود المكانية: وتتمثل في الأماكن التي طُبقت فيها النظريات المعتمدة في الورقة البحثية وهي (الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، فرنسا)، أما بالنسبة للحدود المكانية للبحث الراهن فقد تم دراسة واستقراء النظريات المفسرة للموهبة في (المملكة الأردنية الهاشمية).
- الحدود الزمنية: وتتمثل بالفترة الزمنية التي تم من خلالها تحليل أدبيات البحث خلال شهر تموز من عام 2017م.

الإجابة عن أسئلة البحث

- للإجابة عن السؤال الأول حول النظريات المفسرة للموهبة، يُمكن تقسيم توجهات النظريات المفسرة للموهبة إلى ما يلي:
- أولاً: نظريات ركزت على الذكاء: كنظرية الذكاءات المتعددة لـ جاردنر ، التي تُعد من النظريات القريبة التي يتفهمها المعلمون بسهولة ، نظراً لأنها قدمت نقلة نوعية في عالم الموهبة إذ أصبحت أكثر شمولية في الاستخدام والتطبيق للتعرف على الموهوبين، إذ يرى جاردنر أن الذكاء لا يقتصر على جانبٍ واحدٍ ولا يُمثل نمطاً واحداً ، بل يتسع ليشمل أنماطاً متعددة عُرِفَت بنظرية الذكاءات المتعددة ، ومن النظريات التي ركزت على الذكاء أيضاً ، يُمكن الإشارة إلى نظرية تيرمان بوصفها أنموذجاً مهماً لمعرفة الموهوب أو المتفوق، إذ طبق تيرمان اختبارات الذكاء على عينة مكونة من 250 ألف طالباً من الجنسين في المرحلتين (الابتدائية والإعدادية) وحدد بذلك الطلبة الذين حصلوا على 135 و140 درجة فأكثر، وأطلق عليهم مسمى (Geniuses) العباقرة، وتم إدراجهم تحت فئة الموهوبين أكاديمياً وفقاً لاختبارات الذكاء وترشيح معلمهم في مدارسهم، واستمر مشروع تيرمان إلى غاية 2010م، وهو يتابع نمو هؤلاء العباقرة وتطور حياتهم وفي نهاية المشروع تبين أنه لم يحقق أحد منهم نجاحاً متميزاً في حياته، يُمكن أن يُشار إليه بالموهبة والتفوق .

- كذلك يُمكن الإشارة إلى نظريات أخرى ركزت على الذكاء من خلال ما أوردته جهود عالم النفس البريطاني فرانسيس جالتون الذي اعتقد أن الذكاء يورث من الأب لابنه ، وعلى إثر ذلك فرضت الولايات المتحدة الأمريكية على الراغبين في الالتحاق بالجيش اجتياز اختبار الذكاء ؛ لتقييم القدرات الذهنية للمتقدمين ؛ إلا أن النظريات فيما بعد أثبتت غير ذلك ، إذ أثبتت أن الذكاء يتأثر بعوامل وراثية يرثها الأبناء من أمهاتهم، وبموامل بيئية.
- ثانياً: نظريات ركزت على الذكاء والإبداع معاً كنظرية بنية العقل لـ جيلفورد التي أسهمت في تطور دراسة الذكاء فيما بعد، إلى أن أصبحت من أشهر نظريات النشاط العقلي للإنسان، الأمر الذي يؤكد أن النشاط العقلي عند جيلفورد مبني على سمات الذكاء والإبداع.
- ثالثاً : نظريات اهتمت بالخصائص السلوكية للموهوبين والمتفوقين كالمثابرة والمغامرة، وحب الاستطلاع ، وسرعة الاستيعاب ، والاستقلالية ، وما شابه ذلك، إضافة إلى الخصائص التربوية والقيم المجتمعية ، وقد بحثت في ذلك نظريات كثيرة منها: نظرية الحلقات الثلاث لرنزولي، ونظرية تانباوم، ونظرية الموهبة لـ فيلدهوزن.
- رابعاً: نظريات ركزت على قدرات متنوعة ومختلفة: كنظرية الذكاء الناجح لـ ستيرنبيرج ، الذي أشار إلى أن معظم الناس يمتلكون قدرات بنسب متفاوتة ، من هنا لا بد أن يكون لدى الفرد الحد الأدنى من القدرات : (التحليلية، والإبداعية، والعملية)، وللحكم على وجود الموهبة لديه لا بدّ من امتلاكه لتلك القدرات بنسب عالية.

• الإجابة عن السؤال الثاني: حول المفاهيم المشابهة للموهبة وفق النظريات المفسرة للموهبة

يُمكن القول أنه ورد بعض المفاهيم من خلال استعراض النظريات المفسرة للموهبة المعتمدة في البحث وهي:

• **الذكاء:** يمكن الإشارة إليه وفق ما تم تحليله من أدبيات النظريات المفسرة للموهبة بأنه: نظام من المقدرة المعرفية وغير المعرفية يشوبها السرعة في الفهم والفتنة والإدراك والاستجابة المناسبة وبذلك فهو يتضمن ذكاءات متعددة مثل الذكاء الانفعالي والعاطفي والوجداني، والذكاء المعرفي، والذكاء الرياضي، وما شابه ذلك.

ويُستدل عليه بمقاييس الذكاء التي تظهر مستويات للذكاء كالذكاء المنخفض، والذكاء المتوسط، والذكاء المرتفع، إذ يدخل الذكاء المرتفع (فوق المتوسط) في مكونات الموهبة، فهو بذلك الذي يُمثل أحد مكونات الموهبة، الأمر الذي يؤكد ما أشارت إليه معظم الدراسات في وجود علاقة ارتباطية بين الذكاء والإبداع، قوامها 120 درجة.

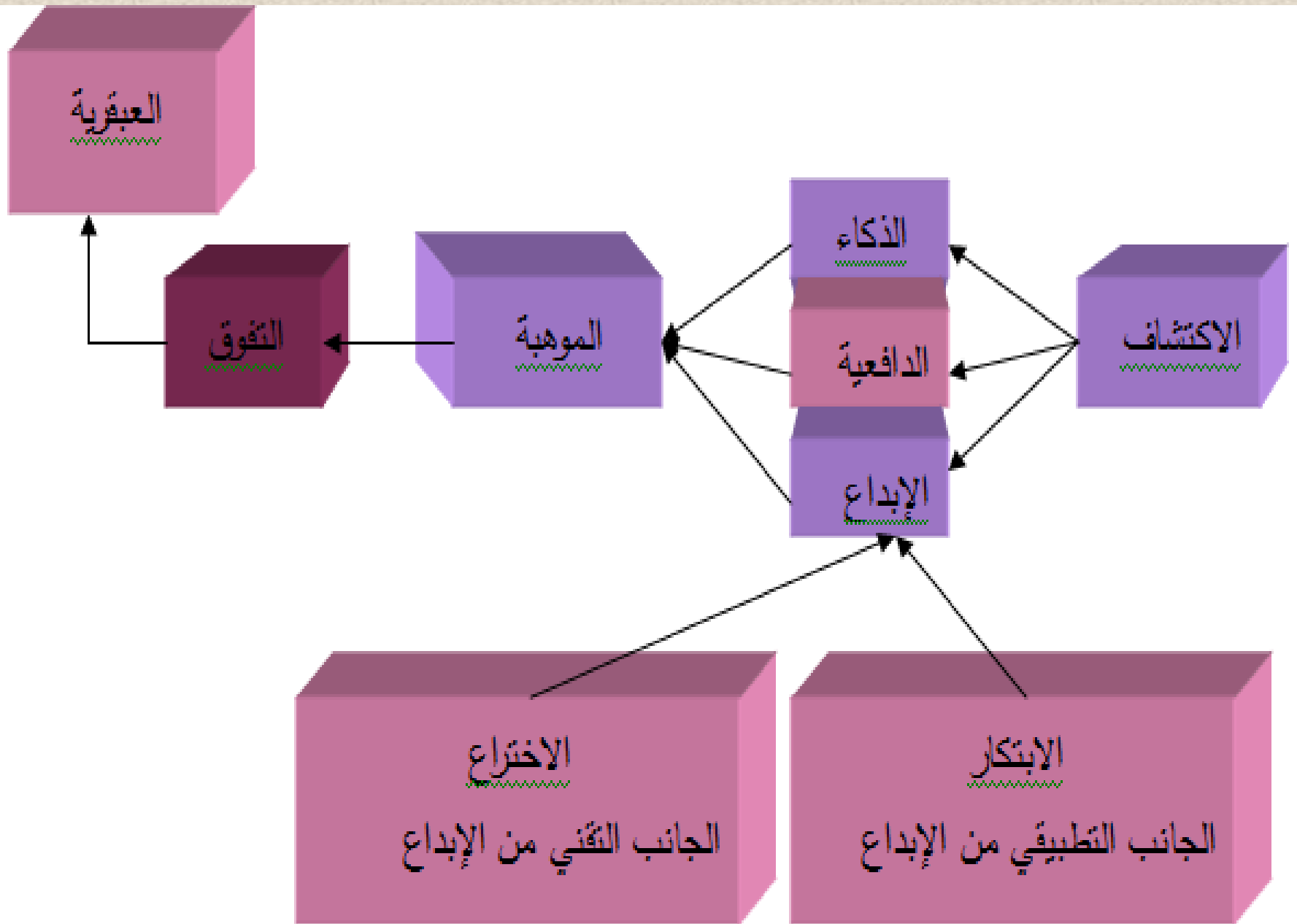
- **الموهبة:** ويمكن الإشارة إليها بأنها طاقة كامنة ونشاط بمقدرة فوق المتوسط ، تتأثر بعوامل وراثية وبيئية، وتُقاس باختبارات مقننة، لا يُشترط حدوث التفوق؛ إذ ليس كل موهوب متفوقاً.
- **التفوق:** يتمثل بالأداء بمستوى فوق المتوسط، يتأثر بعوامل بيئية، ويُعد إنجازاً للطاقة الكامنة (للموهبة)، بحيث يُلاحظ على أرض الواقع، إلا أن معظم النظريات المفسرة للموهبة أظهرت التفوق الأكاديمي الذي يُشير إلى التحصيل الدراسي عالي الرتبة أو النسبية.
- **الدافعية:** تُمثل المقدرة على الالتزام وإنجاز مهمات متعددة بحيث تتضمن بيئة مناسبة واتجاهات إيجابية وسمات واهتمامات شخصية عليا، وتدخل الدافعية عالية المستوى في مكونات الموهبة.
- ويمكن القول بأن الموهبة هي تفاعل كل من الذكاء والدافعية والإبداع بقدرات عالية فوق المتوسط.
- **الاكتشاف:** يُعد مرحلة من مراحل الإبداع الأولى فهي تسبق الإبداع، إذ يتبلور الاكتشاف حين يتم الكشف عن فكرة أو أفكار كانت مخفية، أو واقع كان مخفياً، مثل: اكتشاف بعض الآثار في منطقة ما، اكتشاف مقابر مخفية مئات وآلاف السنين.

• **الإبداع:** في حال تم تطوير الأفكار المكتشفة أو الواقع المكتشف فأصبحت أفكار جديدة أو واقعاً جديداً، هنا يتبلور مفهوم الإبداع؛ إذ يتبلور في الجودة التي تلازم المبدع والأمر الذي تم اكتشافه، مثل: توظيف التكنولوجيا في العملية التعليمية، توظيف التخطيط الاستراتيجي لدى المؤسسات كافة، إذ كان محصوراً في العلوم العسكرية، وأصبح يوظف في العلوم التربوية والاقتصادية والإدارية، إذ يكمن الإبداع في عمليات التغيير والتطوير.

• **الابتكار:** هو عملية تطبيق الأفكار المبدعة إلى واقع ملموس وإلى منتج يتصف بالجدة والأصالة والقيمة المجتمعية، فإن ذلك يُصبح ابتكاراً، إذ يُمثل الابتكار الجانب التطبيقي للإبداع، والمرحلة المتقدمة منه.

• **الاختراع:** ويمثل الاختراع المجال التقني للإبداع والابتكار معاً، فمن خلاله يُمكن لمس المنتج ورؤيته وسماعه واستخدامه مثل: اختراع السيارة والطائرة والميكروويف وما شابه ذلك.

- **العبقرية:** قدرة المرء على الابتكار أو الاختراع والميزة و الموهبة و الذكاء من حيث الكم و الكيف و النوع، فالعبقرية تتطلب الاكتساب السريع و السهل نسبياً، و تتضمن الأصالة، و القدرة على الإبداع، و القدرة على التفكير في مجالات لم يسبق لأحد سبر أغوارها.



• الإجابة عن السؤال الثالث حول خصائص معلمي الموهوبين وفق النظريات المفسرة للموهبة،

• الذكاء والفتنة: يُمكن القول من خلال دراسة نظرية جيلفورد ، إذ من خلالها يتم قياس الطلاقة اللفظية والفكرية والتعبيرية، ويقاس أيضاً التفكير التقاربي والتفكير التقويمي والحساسية للمشكلات، من هنا ينبغي على معلم الموهوبين أن يتصف بالذكاء والفتنة ؛ ليتمكن من التجاوب مع الطلبة بمهارة وفاعلية.

• سعة الاطلاع : من خلال نظرية جاردر التي توسعت لتشمل أنماطاً متعددة عُرفت بنظرية الذكاءات المتعددة ، فإن ذلك يُشير إلى أهمية سعة اطلاع معلم الموهوبين على مختلف العلوم، كذلك امتلاكه الخبرة الكافية في التدريس من العوامل التي تُسهم في تمكنه من الكشف عن الموهوبين بوصفه معلماً للموهوبين .

• التدريب : ومن خلال استخلاص مفهوم الموهبة عند رنزولي بأنها تُمثل " المقدرة العالية في الذكاء والإبداع والدافعية في الالتزام بالمهمات " من هنا ينبغي تفهم أهمية عملية تدريب المعلم قبل وأثناء الخدمة؛ لتزويده بالمعلومات اللازمة عن سمات الموهوبين، فضلاً عن تزويده بأساليب تعليمهم، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة الاهتمام بتضمين برامج إعداد معلم الموهوبين باحتياجات الموهوبين، وأساليب تعليمهم، وإرشادهم وقيادتهم.

• **المؤهل العلمي والمؤهل التربوي:** وعبر محاولة فيلدهوزن في تطوير الموهبة من خلال التربية، وبذلك يكون قد توصل مع زملائه للتفوق الذي أشار إليه بالتفوق الأكاديمي مؤكداً على التميز في القدرة العقلية العامة (الذكاء) التي تُقاس بأداءات الطلبة التحصيلية المدرسية، أو اختبارات الذكاء الجمعية أو الفردية، وأشار إليه أيضاً بالتفكير الإبداعي، والقدرات الأدائية والقدرات القيادية من هنا ، ينبغي على معلم الموهبين أن يكون حاصلاً على مؤهل علمي يُمكنه من تفهم قدرات الطلبة الموهوبين، إضافة إلى حصوله على مؤهل تربوي ، يُمكنه من أداء دوره بوصفه مرشداً وميسراً وباحثاً على حد سواء.

• **المعرفة الشاملة:** من خلال ما تمثله نظرية نجم البحر لـ تانباوم ، التي رصد فيها خمس قدرات مهمة هي: القدرة العامة التي تُشير إلى موهبة الفرد ، والاستعدادات الخاصة، والسمات الشخصية، والبيئة المحفزة (الداعمة)، والفرصة وهي التي تُمكن الفرد من تطوير قدرته وموهبته، من هنا فإن المعرفة الشاملة لمعلم الموهوبين بمقاييس الذكاء الفردية والجمعية ، كذلك معرفته بالخصائص السلوكية للموهوبين عن طريق تدريب المعلم على تفهمها ومناقشة العبارات التي تتضمنها معهم ؛ يُسهّم ذلك في عملية الكشف عن الموهوبين .

• **المعرفة بكيفية استخدام مقاييس الذكاء، ومقاييس التفكير الإبداعي، ومقاييس التفكير الناقد، وكيفية التصحيح.**

- بناء على ما تقدم ، يُمكن الإشارة أيضاً إلى أمر مهم حول فئة موجودة بيننا، من ذوي الاحتياجات الخاصة أصحاب الإعاقات السمعية ، والإعاقات البصرية ، وأصحاب الإعاقات الجسمية والصحية ، وما إلى ذلك، إذ هناك كثير من الأطفال المعاقين، موهوبون أو متفوقون، إلا أن قدرات ومهارات هؤلاء، عادة ما تكون مهملة أو شبه مهملة من قبل المختصين، وفي ذلك أثبتت دراسات اليونيسيف ومنظمة الصحة العالمية أن 10% من أفراد المجتمع يعتبرون ذوي حاجات خاصة، بل وأشارت اليونيسكو إلى أن النسبة تتراوح بين 10 و 15 %، ومن بين هؤلاء 2% لديهم موهبة أو تفوق ولا يحظون بالاهتمام الذي يحظى به الموهوبون من غير المعاقين.

• كذلك يُمكن الإشارة أيضاً إلى الطلبة الموهوبين الذين يعانون من التأخر الدراسي الناتج عن عوامل متعددة ، سواء أكانت مشكلات انفعالية أم أسرية أم مدرسية أم غير ذلك ، ما يُشير إلى إن الأطفال الموهوبين تنخفض دافعيتهم للإنجاز المدرسي أو التحصيل الدراسي بسبب أن خصائصهم لا تتوافق والفرص المتاحة داخل المدرسة، وبالتالي لا يهتمون بمحتوى ما يقدم لهم من مناهج أو مقررات أو معلومات، أو أنشطة صفية أو لا صفية، مع أن قدراتهم العقلية مرتفعة ومتميزة، وبشكل عام فإن نسبة هذه الفئة غير معروفة بدقة، باستثناء الآراء التي تُشير إلى أنها لا تقل عن 30% من جملة الأطفال متدني التحصيل .

• وهناك كثيرون من ذوي القدرات العقلية العليا، يعيشون في حرمان من التطور؛ الأمر الذي يدعو هؤلاء إما للصمت وكتُم إمكانياتهم، أو اللامبالاة والشعور بالإحباط ، وفي النهاية يأتي حكم المعلم بأن هؤلاء لا يفهمون، كما حدث مع والدة توماس عالم الكهرباء، الذي أشيع عنه بأنه بليد ومعاق أكاديمياً ، فأخرج من المدرسة، وكما حدث مع جورج مندل عالم الجينات المشهور الذي تم إبعاده عن المدرسة .

- من هنا ينبغي مراجعة توجهاتنا والنظر بحكمة في البرامج التعليمية وإلى معلمي الموهوبين بنفس القوة التي نتطلع بها إلى الموهوبين، فإن عملية السعي من أجل تطوير وتنمية إنجازاتنا مؤشراً مهم لمستقبل واعد ، وما نحن عليه الآن من محاولات في هذا المؤتمر لخير دليل على ذلك .

النتائج: في ضوء مناقشة وتحليل النظريات المفسرة للموهبة ، يُمكن إجمال النتائج على النحو الآتي:

- أظهرت النتائج خصائص معلمي الموهوبين منها: خصائص معرفية تُشير إلى سعة الاطلاع بأنواع المعرفة وخصائص الموهوبين، وخصائص تدريبية تُشير إلى التحاق المعلمين ببرامج تدريبية، للإسهام في معرفة خصائص الموهوبين والكشف عنهم.
- أظهرت أيضاً النتائج إغفال كثير من النظريات المفسرة للموهبة والتفوق، الموهوبين الذين يعانون من التأخر الدراسي الناتج عن عوامل متعددة، سواء أكانت مشكلات انفعالية أم أسرية أم مدرسية أم غير ذلك .
- أظهرت النتائج تنوع النظريات المفسرة للموهبة من حيث المحك المعتمد للتفسير ، إذ منها ما اعتمد مقاييس الذكاء، ومنها ما اعتمد التميز في الأداء للدلالة على التفوق، ومنها ما اعتمد مهارات التفكير التباعدي والأصالة والمرونة والطلاقة للدلالة على الإبداع، ومنها ما اعتمد قدرات بنسب متفاوتة كالقدرات التحليلية، والإبداعية، والعملية.

التوصيات: يُمكن أن يُوصى بالآتي:

- ضرورة الاهتمام برعاية الموهوبين ، بحيث تُشكل الرعاية جزءاً من البرنامج المدرسي، من منطلق ما أظهرته بعض النظريات المفسرة للموهبة من تأثير البيئة المدرسية في الموهبة والتفوق.
- ضرورة إنشاء جمعية خاصة بمعلمي الموهوبين ؛ من أجل تشجيعهم على تنمية وتطوير عملية التعامل مع الموهوبين.
- الاهتمام بإعطاء الموهوبين أسئلة مفتوحة الاستجابة ، والابتعاد قدر الإمكان عن الأسئلة مقيدة الإجابة
- ضرورة أن يتفهم المعلمون وأولياء الأمر أن الأطفال الموهوبين، يُظهرون درجات أقل في عملية الطاعة والامتثال للأوامر ، مقارنة بالأطفال العاديين.

شكراً أحسن الاستماع
دار تنمية
عيد الزعموط